القيم الخلقية وأثرها في كتاب (زواهر الفكر وجواهر الفِقَر) لأبي العلاء ابن المرابط (ت٦٦٣هـ) قيمة الوفاء والشوق أنموذجاً، دراسة تحليلية

اسم الطالب: حامد رزاق عباس
جامعة الأنبار: كلية الآداب
قسم اللغة العربية – فرع الأدب

اسم المشرف: أ . د . بشار خلف عبود
جامعة الأنبار/ كلية الآداب
التخصص الدقيق: اللغة العربية
الأدب الاندلسي

البريد الإلكتروني Email : ha4106112@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الوفاء والشوق، بشار عبود خلف، اقتباس في كتاب زواهر الفكر وجواهر الفِقَر.

كيفية اقتباس البحث

عباس ، حامد رزاق ، بشار خلف عبود، القيم الخلقية وأثرها في كتاب (زواهر الفكر وجواهر الفِقَر) لأبي العلاء ابن المرابط (ت٦٦٣هـ) قيمة الوفاء والشوق أنموذجاً، دراسة تحليلية ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٤،المجلد:١٤، العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Moral values and their impact in the book (The Jewels of Thought and the Jewels of Poverty) by Abu Al-Ala Ibn Al-Murabit (d. 663 AH), the value of loyalty and longing as an example. An analytical study

Student: Hamed Razzaq Abbas
Anbar University/College of Arts
Scientific title: None
Department of Arabic Language - Literature Branch

Supervisor: A. Dr . Bashar Khalaf Abboud
Work location: Anbar University, College of Arts ,Specialization: Arabic Language/Andalusian Literature

Keywords : Loyalty and longing, Bashar Abboud Khalaf, quote in the book Jewels of Thought and Jewels of Poverty.

How To Cite This Article
Abbas, Hamed Razzaq , Bashar Khalaf Abboud, Moral values and their impact in the book (The Jewels of Thought and the Jewels of Poverty) by Abu Al-Ala Ibn Al-Murabit (d. 663 AH), the value of loyalty and longing as an example. An analytical study , Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2024,Volume:14,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

God Almighty has imprinted on the human soul the values and principles, some of which came through common sense and sound behavior, and others were acquired by sitting with honorable people and taking the right lessons and values from this life, as loyalty and longing are among the moral values that express the characteristics of man and the knowledge of the moral and moral tendencies within him. She was endowed with delicate feelings and high morals. My research was entitled (Moral values and their impact in the book Plurals of Thought and Jewels of Poverty by Abu Al-Ala Ibn Al-Murabit (d. 663 AH) The value of

loyalty and longing as an example. An analytical study), and this required several matters that I addressed in this research, They are presented by the introduction and then the definition of loyalty and longing linguistically and terminologically, and then a simple illumination on how the Andalusian poet addressed the value of loyalty and longing, and then an explanation of the importance of that value in the book The Jewels of Thought and the Jewels of Poverty, as the poets and writers of Al-Zawahir enjoyed a distinctive poetic language with an artistic and sensual character that mimics what surrounds it. Of the literary issues, including loyalty to the longing for the beloved, loyalty to the homeland and longing for it, as well as loyalty to the self-made ministry, which was the literary, cognitive, religious and moral starting point and the correct standard in which the poets of Al-Zawahir followed, as they derived from its upright approach lessons and lessons in various different literary values and trends, and the cultural blending was The Arabic and Levantine languages played a prominent role in refining the literary talents and abilities of the Zawahir poets. In addition, this value had a special value in Andalusian poetry in general and the Zawahir poets in particular, as a result of alienation, separation, and distance from the homeland due to the repressive policies that affected the country of Andalusia and had a negative impact on Its writers and poets, which led them to emigrate and move away from their homeland, and the obsession of loyalty and longing haunted their aching souls and healed their wounds. All of this was followed by a conclusion, then footnotes, and then the sources.

الملخص :

لقــد طبع الله تعالى النفس الإنسانية على قيم ومبادئ بعضها جاءت عن طريق الفطرة والسليقة السليمة والبعض الأخر اكتسبت عن طريق مجالسة الكــرام وأخذ العبر والقيم الصحيحة من هذه الحياة، إذ يعد الوفاء والشوق من القيم الخلقية التي عبرت عن سجايا الإنسان ومعرفة ما بداخله من نوازع أدبية وخلقية، فكانت تتمتع برهافة الحس والخلق الرفيع، فقد كان بحثي هذا بعنوان (القيم الخلقية وأثرها في كتاب زواهر الفكر وجواهر الفِقَر لأبي العلاء ابن المرابط (ت ٦٦٣هـ) قيمة الوفاء والشوق أنموذجاً. دراسة تحليلية)، وقد تطلب ذلك عدة أمور تناولتها في بحثي هذا، تقدمهما التمهيد ومن ثم تعريف الوفاء والشوق لغةً واصطلاحاً، وبعد ذلك إضاءة بسيطة عن كيفية تناول الشاعر الأندلسي لقيمة الوفاء والشوق، وبعدها بيان أهمية تلك القيمة في كتاب زواهر الفكر وجواهر الفِقَر، إذ تمتع شعراء وكتّاب الزواهر بلغة شعرية مميزة ذات طابع فني وحسي يحاكي ما حوله من القضايا الأدبية منها الوفاء الشوق للحبيبة والوفاء للوطن

والحنين إليه وكذلك الوفاء للوزارة العصامية التي كانت المنطلق الأدبي والمعرفي والديني والخلقي والمعيار الصحيح الذي كان يسير على خطاه شعراء الزواهر، إذ كانوا يستمدون من منهجها القويم دروساً وعبر في مختلف القيم والاتجاهات الأدبية المختلفة، وكان للامتزاج الثقافي ما بين اللغة العربية والمشرقية دوراً بارزاً في صقل المواهب والقدرات الأدبية لشعراء الزواهر، إضافة إلى ذلك كان لتلك القيمة خصوصية في الشعر الاندلسي بصورة عامة وشعراء الزواهر على وجه الخصوص، نتيجة الغربة والفراق والابتعاد عن الوطن بسبب السياسات القمعية التي طالت بلاد الأندلس وكان تأثيرها سلبياً على كتّابها وشعرائها مما دفعهم إلى الهجرة والابتعاد عن الوطن، وكان هاجس الوفاء والشوق يلازم أرواحهم الموجوعة ويكابر جراحاتهم، وأعقب كل ذلك خاتمة ثم الهوامش ومن ثم المصادر .

المقدمة :

يعد مبحث الوفاء والشوق في الدراسات الأدبية الأندلسية من أهم الموضوعات التي كانت تلازم ذات الشاعر وتشحذ همته، إذ عبرت هذه القيمة الخلقية عن الأصالة العربية الموروثة من خلال الالتزام بالأقوال والأفعال التي يتحدث عنها العامة في مناسبة أو غير مناسبة، أي لمجرد أخذ العهد والأمان، إذ ضربوا نماذج لهم يستمدون منها عبرة للحث على هذه القيم الخلقية السامية التي تحمل معنى الثبات والصدق سواء في الحب والعلاقات العاطفية أو في التعامل مع الأهل والأصدقاء، فهي ضد الخيانة والغدر، فقد يبوح الشاعر عن مشاعره الكامنة في ذاته متأملاً ومتيقناً بصدق عاطفته واحاسيسه، فهو من شيم النفوس الشريفة ذات الأخلاق الحميدة، فالوفاء عند الشعراء الأندلسيين له نزعته الخاصة ذات الخصال المتعددة، إضافة إلى اسلوبه الخاص والمتميز الذي أكتسبه عن طريق الامتزاج الثقافي والمعرفي ما بين الثقافات العربية والمشرقية .

فَخُلُقُ الوفاء خُلقٌ رفيع يدل على رهافة حس المؤمن ويعكس صورة رائعة لنفسه المشرقة، ولنا في وفاء رسولنا الكريم محمدٍ (صلى الله عليه وسلم) أسوة وقدوة حسنة، ومن أروع القصص التي تروى عن وفاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي قصة وفائه لزوجته سيدتنا خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، فقال النبي محمدٌ (صلى الله عليه وسلم) : اللهم "هالة"، فلم تتمالك سيدتنا عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر نفسها، ولم تستطع أن تُسيطر على أحاسيسها التي دارت في صدرها وتخفيها، وهي ما تفتأ تحس بطيف خديجة دائماً ماثلاً بين عيني النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت له : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً

منها [١] . فتغير وجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقال لعائشة مغاضباً: والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء [٢] .

إذ يعد الوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة، فقد يعظم صاحبه في العيون وتصدق به الظنون [٣]. وكذلك هو ملازمة طريق المواساة والمحافظة على عهود الخلطاء [٤]. وإن الاعتناء والمحافظة على الوفاء يورث في خبايا القلب الشوق والمحبة والصفاء بين الناس جميعاً، فإن الحياة بدون وفاء لا تطاق فليس لها معنى ولا قيمة، فالوفاء هو أساس القيم الأخلاقية الفاضلة. وكذلك يعد الوفاء من صفات الله (عز وجل)، إذ قال تعالى: ﴿ **وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وعدهُ** ﴾ [٥]. وقد بين الله تعالى أيضاً وفاء النبي إبراهيم (عليه السلام) من خلال قوله تعالى : ﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى** ﴾ [٦] .

المحور الأول:

الوفاء عند الشعراء الأندلسيين .

فالوفاء عند الشاعر الاندلسي له أسلوبه الخاص ونزعته التي تعددت خصالها في بعض النصوص الادبية، وقد تسابق الشعراء الأندلسيون في هذا الميدان الرحب ليضعوا عصارة أفكارهم من خلال ما سطرته احبار اقلامهم نصوصاً يطرب لها السامع ويحدق بمعانيها العالم والفاهم.

المحور الثاني:

توظيف اسلوب الالتفات عند شعراء الزواهر .

ومن الأساليب التي طرقها الشاعر الأندلسي في ضمن قيمة الوفاء أسلوب الالتفات، فهو مظهرٌ من مظاهر العدول الأسلوبي ووسيلة مهمة من الوسائل البلاغية التي نالت حظاً وافراً من الاهتمام والدراسة لدى الشاعر الأندلسي الذي ينطوي على إشكالية انتقاله ضمن صدور النص الشعري من أسلوب إلى آخر، فيكون الانتقال من صيغة إلى أخرى أو من خطاب إلى غيبة وكذلك من غيبة إلى خطاب ومن ماضٍ إلى مستقبل أو على العكس من ذلك.

إذ إن هذا الأسلوب لديه القدرة على إثراء الدلالة ولطافة المعنى الشعري وبيان دقته، فضلاً عن إبرازه الدلالات والمعاني الخفية والمضمرة خلف النصوص الشعرية. وعلى أثر ذلك عمل الشاعر (أبو بكر بن المرابط) أبياتاً قالها في أيام الشباب [٧] :

(البحر الكامل)

يـــا مـــــن لصـــــب بالفـــــراق	أرقٍ يبيـــــتُ بليـــــلـــــه الملســـــوعِ
يطـوي الضـلـوع علـى فـؤادٍ محـرقٍ	صـدعت زجاجتـه يـــــد التوديـــــعِ
أذكـــت تشـــوقه الحمامـــة سحـــرة	فـــــي غصنها الميـــــادِ بالترجيـــــعِ
كـــــم بـــين منتخـبٍ لفقـد حبيبـهِ	يبكـــي لشمـــل منـه غيـــر جميـــــعِ
ومغـــــردٍ أنســـــاً بقـــــرب	يُمسـي ويُصبـــح فـــي ريـاض ربيـــعِ
شـتان مـا بينـي وبينـك فـــي البكـــا	هبـــك انتحبـــت فـــأين فـــيض دموعـــِي

إن الاختلاف في الخطاب الشعري من أسلوب الغائب إلى المتكلم ومن الغائب إلى المخاطب موظف توظيفاً فنياً رائعاً، زيادة على توظيف الشاعر (يا) النداء في بداية نصه الشعري، وهذا دليلٌ على بلوغه لوعة الرفاق .

فذهب إلى تجسيد معالمه، التي عَمَّمَ كلامه من خلالها على البشر جميعاً من خلال استعماله صيغة الغائب، فهو لم يخصص إنساناً بذاته، زيادة على توظيفه لأسلوب الاستفهام في لفظة (كم) التي يستفهم بها عن العدد، حيث قسم الناس على قسمين : قسمٌ منتخب لفقد حبيبه، والقسم الآخر مُغردٍ أُنساً بقرب حبيبه، وفي البيت الآخر تحول الخطاب الشعري من الغائب إلى المتكلم ليخص نفسه بالبكاء والحزن جراء فقد الحبيب، فبعد ذلك تحول الخطاب من الغائب إلى المخاطب ليخصه بالفرح والسرور عندما يكون قريباً من الحبيب .

وله أبيات أخرى حملت قيمة الوفاء أيضاً، لكن هذه عكس الأبيات السابقة فهو هنا خصص في خطابه إنساناً بعينه وهو (محبوبه) وليس على البشر جميعاً، فهو هنا يصور نبل وفائه ووقوفه مع محبوبه رغم بعده عنه من خلال خلجات قلبه واضطرابات أشواقه الداخلية، فيقول : [٨] .

(البحر الخفيف)

يـــا بعيـــداً عـــن نـــاظري مقيمـــاً	فـــي فـــؤادي أنـــت البعيـــد القريـــب!
يـــا حبيبـــاً ســـقاني الـــودَّ صرفـــاً	فكلانـــــا هـــــو المحـــب الحبيـــب!
هـــا أنا كلمـــا أزيـــد دنـــــواً	منـــــكَ، أزداد لوعـــــةً فـــــأذوبُ

كذلك بدأ الشاعر قوله بأسلوب النداء من خلال توظيفه للفظة (يا) لمناداة محبوبه، إذ حشد الكثير من الصور البيانية لأجل بناء صورة استعارية تتجسد في خطابه الشعري، تحمل في اثنائها رؤية فنية عملت على تقريب المعاني الذهنية المجردة إلى ذهن المتلقي التي من خلالها

حاول الشاعر تقريب ما هو بعيد، فهو بعيد عن رؤية محبوبه بالعين المجردة؛ ولكنه قريبٌ إلى القلب وله نصيبٌ من مشاعره الملتهبة. وما زال ذكره يصدع في خلجاته محدثاً نزاعات مستمرة ما بين شوق الرؤية والحنين وبين قربه واستوطانه في القلب وزعزعته لمشاعره .

وقد تمكن عن طريق توظيفه أسلوب الغائب أن يُخص بخطابه محبوبه، فضلاً عن طباقه في (البعيد / القريب). وقد عمل على تعميق عنوان لوحته عن طرق تواتر الصيغ الإيقاعية على مدار البيت الأول والثاني (يا بعيداً – يا حبيباً) فقد حقق هذا الاسترسال والتدفق بتوالي المفردات ذات الطاقات الإيقاعية الذاتية المتمثلة بجرسها الموسيقي المنسجم مع السياق إشباعاً دلالياً أسهم في نسج متطلبات الصورة الشعرية، فهذه الدلالات الصوتية المتمثلة بالقوافي الثانوية وبسبب وقعها الموسيقي اللافت للسمع قد أثارت انتباه المتلقي ونمت لديه روح الكشف عن المضمون وكثفت من رؤيته للنص لاستجلاء خفايا الصورة الشعرية .

بعد ذلك بدأ الشاعر بوصف حاله من خلال قوله (ها أنا كلما أزيدُ دنواً منكَ) عندما يغمره الاشتياق والحنين ويبحر للاقتراب من محبوبه فيزيده ذلك لوعة فيذيب مشاعره المحرقة.

كما أن المتأمل في شعر (أبي بكر بن المرابط) يرى أن صورته الشعرية والاستعارية قد شكلت ملمحاً بارزاً؛ لما لها من عنصر رائد في العملية الشعرية وتفاعلها المؤثر في إظهار المشاعر المضمرة التي تحمل حبه واشتياقه لممدوحه ، فمن ذلك قوله [٩] :

(البحر الكامل)

يا نازحاً، مثواهُ بينَ جَوَانحي ... أعلمْتَ ما تحني عليه ضُلوعِي ؟
لو كنت تعلمُ ما أقاسي في النَّوى ... سابقت هوج الريح نحو رُبُوعِي !
إني عهدتك لِلأَذمَّة حافظاً ... ولقد رأى طرفاً من التضييعِ
حاشا لودَّك أن تغيرهُ النَّوى ... فاعطف على قلب بها مصدوعِ!

في هذا النص يخاطب الشاعر ممدوحه مبرزاً حبه وشوقه له، فخاطبه بوساطة أداة النداء (يا) التي خرجت لمعنى مجازي وهو المديح، مخاطباً بها صفته المعنوية التي يرى أنها تمثله وهي (نازحاً) فمن المؤكد أن الشاعر عندما خاطب هذه الصفة كان يعي أنّها لا تعقل ولا تنصح ولكن الموقف قد فرض عليه أن يتوجه إلى مثل هذه الصفة ويقيم معها تواصلاً ليفيض ما بجعبته من خلالها، فهو مقرٌ بحفظه للعهد الذي بينهما وتحمله أعباء ذلك مستثنياً ودِه له من أن يغيره الزمن من خلال توظيفه أداة الاستثناء (حاشا) .

المحور الثالث:

تشكيل المتغايرات والمتعارضات عند شعراء الزواهر .

إن تشكل المتغايرات أو المتعارضات في سياق النص الشعري من أبرز ملامح الأسلوبية التي يستوجب توظيفها .

وهذا ما ذهب إليه (أبو بكر بن المرابط) عند تعداده لخصال الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ملغزاً بوفائه، إذ يقول [١٠] :

(بحر الرجز)

وأبتـــــاع بئـــر رومـــــة محتســباً	**يشـــرب منـــه المـــاء فـــيمن شـــربا**
وحسبـــــهُ منقبـــــةٌ عليـــــه	**هـــــذا رفيقـــــي يـــا لهـــا مزيَّـــــه**
وكـــــان فـــــي البيعـــة غيـــر حاضـــرِ	**فبايعـــــت عنـــــهُ يمـــــينُ الطاهـــــرِ**
ويـــوم بـــــدر كـــــان قـــــد خلفـــه	**ممرِّضـــــاً لمـــن بهـــــا شرَّفـــــهُ**

إنَّ السياق الأسلوبي الذي نظم به الشاعر نصه الشعري يدل على قدرته وتمكنه من تطويع اللغة واستخدامها استخداماً فنياً مجازياً موحياً، فلعله يُشير في البيت الأول : إلى حفر عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بئر رومة ودعا النبي (صلى الله عليه وسلم) له بالجنة [١١] . وهذا يدل على وفاء النبي محمدٍ (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه الكرام.

وفي البيت الثاني إشارة إلى قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((لكل نبي رفيق في الجنة، ورفيقي عثمان بن عفان في الجنة)) [١٢]. وهذا ما يشير إلى وفاء النبي محمدٍ (صلى الله عليه وسلم) لعثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وفي البيت الثالث : تحدث الشاعر عن تخلف عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عن بيعة الرضوان، ونيابة النبي (صلى الله عليه وسلم) عنه في هذه البيعة [١٣] .

وفي البيت الرابع أشارَ إلى عدم مشاركة عثمان بن عفان في غزوة بدر؛ بسبب تكلفه من لدن النبي محمدٍ (صلى الله عليه وسلم) للسهر على راحة ابنته رقية وتمريضها [١٤] .

ولابن الجنّان نص نثري يعد من النصوص النادرة التي احتفظ بها (أبو العلاء ابن المرابط) متحدثاً من خلاله عن الخصال الحميدة التي تميز بها الأصفياء من الوزراء والفقهاء وغيرهم، والتي تتمثل بالوفاء وحسن السجايا، ومن ذلك قوله : ((وأما أصفياؤنا الذين خلصت طوياتهم، وَتَخصَّصَتْ بالوفاء المحض سجاياهم، أولي السوابق المقدمة، والخلائق المستكرمة، والطرائق

المتصفة بالمحاسن المُتَمِّمَةِ، الفقهاء والوزراء والقواد والأعيان الجلَّة الحسباء المكرمينَ الأكْمَلِينَ)) [١٥] .

المحور الرابع:

توظيف اسلوب التلميح عند شعراء الزواهر .

يُعرف التلميح عند أهل البديع، هو الإشارة إلى شعر مشهور، أو قصة تاريخية، أو ما يشبه ذلك، فمن نماذج تلك الإشارات ما نلحظه في شعر (ابن الأبار البلنسي) عند رثائه لشيخه (أبي الربيع ابن سالم)، فقال [١٦] :

(البحر الطويل)

يطالبني فيك الوفاء بغايةٍ ... سموت لها حفظاً لتلك المواسمِ

وهذي المراثي قد وفيت برسمها ... مسهمة جهد الوفيِّ المساهمِ

ففي هذين البيتين صاغ الشاعر أسلوبه عن طريق الاستعارة مشخصاً الصفات النبيلة التي يتميز بها ممدوحه من خلال قوله (فيك الوفاء) فهو لديه الطموح لرد جميل ذلك الوفاء، إذ تم تجسيد المعنويات لتصبح الصورة المراد إيصالها للمتلقي أكثر قدرة على الإثارة وأكثر تمكناً في نفسه .

فقد استطاع بهذا الأسلوب أن يجسم المعنى ويؤكده برده لنعيم الفضل الذي أنعم به الممدوح عليه، فضلاً عن استعماله لحرف (السين) الذي أسهم في تحريك النص وبث الحياة فيه والنشاط وحسن الوفاء. زيادة على جناسه في (المراسم / المساهم)، فالنص الشعري برمته دارَ حول موضوع الوفاء ولا يتجاوز أن يكون رداً لجميل الوفاء الذي جسده الشاعر في معنيين، الأول: وفاؤه له حفظاً لما بينهما من المراسم النبيلة. والآخر: هو إخباره بأنه قد وفى ما عليه، فتلك المراثي مدفوعة الثمن بوفائه وإخلاصه له .

وتأسيساً على أن الوفاء هو: حفظ مراسم المحبة والاشتياق والمخاطبة سراً وعلانية حضوراً وغيبة [١٧]. فقد كتب (أبو المطرف بن عميرة) إلى الفقيه (أبي محمد البونتي) أبياتاً ذكر فيها اشتياقه على البعد واعتلاقه بأذيال ذلك العهد، حين قال: ((ومالي لا أرعى عهدهم وأذكره، وأحمد ما عندهم وأشكره، وقد وصفوا والمودات مشوبة، ووفوا والوفاءُ أعجوبةٌ وزلات الإخوان مكتوبة، ووصلوا وفلاة الهجران محبوبة، فحيوا أفضل الحياة، وحيوا بإكرام التحيات وجزوا عن صفات النيات باصطفاء الأمنياتِ)) [١٨].

ومثال ذلك ما كتبه ابن الجنّان في قصيدة بعث بها إلى القاضي (أبي بكر بن المرابط) وكانت جواباً على كتاب أرسله الأخير [١٩].

(البحر الطويل)

وفي ضمها أو في ضمان بيانها ... حقيقةُ ما أخفي من الودِّ أو أُبدي
وعهدُ وفاءٍ ليس تبلى رسومه ... إذا جازَ أَن يبلى قديمٌ من العهدِ
يروم شفاءً عندها فتعلهُ ... وإنَّ عليلَ الريح لا شكَّ قد يعدي
وقام ينادي بين وجدٍ ولوعةٍ ... وللشوق منهُ ما يعيدُ وما يُبدي

اتكأ الشاعر في نصه هذا على أسلوب التضاد، فعلى سياق البيت الأول (أخفى / أبدى) فالشاعر هنا يرسل أشواقه الشديدة لصديقه القاضي مخبراً إياه بأن يختلع نفسه، فالقصيدة تحمل في طياتها جميع أنواع الوّد التي يصرح بها الشاعر محتفظاً بها لنفسه. أما في البيت الآخر ورد طباق السلب بين كلمتين (ليس تبلى / يبلى) فالشاعر يصرح بأن عهدهم باقٍ لا يمكن أن يزول. علاوة على ذلك يوجد في البيت الذي يليه طباقٌ بين كلمتي (شفاء / عليل)، فهو هنا يصف حال علتهِ التي لا تشفى إلا باجتماع الأحباب.

أما في البيت الأخير فقد كرر الشاعر طباقه في (يعيد / يبدي) فكان شوقه متذبذباً ما بين وجدٍ فيعيد شوقاً وما بين لوعةٍ فيُبْدي. فالنص الشعري في جلّ أبياته ورد فيه الطباق؛ حيث يساعد هذا التضاد في لفت انتباه السامع والتأثير فيه .

المحور الخامس:

توظيف اسلوب المقطوعات الشعرية (النتف، والبيت اليتيم) عند شعراء الزواهر.

تُعد المقطوعات الشعرية والنتف والبيت (اليتيم) من أساليب بناء البيت الشعري، إذ نلحظ أن ابن الجنّان قد وظف الكثير منها في شعره، وعلى غرار ذلك ما كتبه من مقطوعة شعرية لصديقه (أبي العلاء ابن المرابط) عندما كان في سبتة ، فيقول [٢٠] :

(مجزوء الكامل)

أُهدي السلام تحيةً ... لأخي الإخاء أبي العلاء
وأقولُ إنِّي عندما ... يدريه من عهد الوفاء
وجوابهُ قد سار قبلُ ... محملاً طيب الثناء
وإذا الوقوف أراد من ... خبري على أجلى الجلاء
فليسأل القاضي العمادَ ... أخا الجلالة والسناءِ

لقد ارتأى الشاعر في هذه القطعة الشعرية أن يكشف عن المعاني الموجزة والمختصرة التي تؤدي الغرض، فقد طغى على هذه الأبيات الإيجاز والتركيز والتكثيف، فتمكن من إيصال فكرته بإيجاز لفظي وتكثيف معنوي .

وعند قدوم (أبي بكر بن المرابط) من بر العداوة كتب نصاً نثرياً أبدى فيه شوقه إلى بعض أصحابه، فقال : ((أشَدَّ شوقي إلى ذلك الجلال وجوارِه، وأعظم حرصي على الاستشفاء من آلام البعد والتنائي بطيب أحاديثه الشريفة وأخباره، وإمتاع بصري وبصيرتي بلألاء محياه الكريم وأنواره لاسيما وقد دنت داري من داره، وإلى الله تعالى أشكو تحيفات الزمن وجواره)) [٢١] .

المحور السادس:

اسلوب توافق المعنى واستقامته عن شعراء الزواهر.

إن التوافق في المعنى شرطٌ من شروط استقامته وتبديد الغموض وإبانة الفكرة وتقريبها إلى النفس، فتصبح (اختلافاً في شدة ائتلاف)، وهذا ما سارَ على منواله (أبو بكر بن المرابط) عندما أراد أن يعبر عن شوقه إلى وطنه، فيقول [٢٢] :

(البحر الطويل)

وممـــا شجانـــــي والشجون فنـــون ... أُويـــرقُ غنـــى بالعشـــي حزيـــنُ
يطارحني شكـــوى الهـــوى غير أنـهُ ... يجمجـمُ عـــــن مكنونـــــه وأبيـــنُ
ذكرتُ بـــــه عهداً بـتدمير ماضيـــاً ... فثـــار مـــن الشـــوق الـدفين كمـينُ
وإخـــوانَ صدقٍ لا يزال يهـــزُّنـــي ... إلـيهم إذا هـبَّ النَّسيـــــمُ حنيـــنُ
بلادٌ بها قومـي ورهطي وأسرتـــــي ... سقتها عُيُـــونٌ للحيـــا وَعُيُـــونُ

إن النسق الأسلوبي مثيرٌ للتعطش في نفس القارئ فيحس بلمسه للمعاني عندما يقروها وفي الوقت نفسه أنه لا يلمسها، فالأفكار تزوغ ولا تثبت، وفي القصيدة إيحاء إلى المعنى يُبقي الذهن متطلعاً ويحاول ولا يلمس ما يربد، وقد ينالُ شيئاً وتفوته أشياء .

إذ أراد الشاعر أن يبين مدى حزنه وحجم اشتياقه إلى وطنه، وقد شبه ذلك من خلال استعارته لـ (الحمامة) عندما تغني في عشها وهي حزينة، ورغم حزنه فهو يغالي شكوى حبه وحنينه متذكراً ذلك العهد الذي قضاه بـ (تدمير) ويقصد به الشاعر (أوريولة)، فثار ذلك الشوق المضمر في داخله تجاه بلاده وإخوانه وقومه وأسرته، وقد تجسد ذلك في هذه الصورة الشعرية المدهشة التي تدل على طاقة تخيلية هائلة يملكها الشاعر، كما تدل على قدرته على

إيجاد حالة من التوازن بين الأشياء. فضلاً عن جناسه للفظة (عُيُونٌ) ليزيد المعنى الشعري ويؤكده مع بيان شدة تأثيره، فالعين الأولى يقصد بها الشاعر ينبوع الماء؛ وهو المقصود والأخرى يقصد بها حاسة البصر، فعمل الشاعر هنا تورية من خلال ذكره للفظة التي تحمل معنيين معنى بعيد وهو المطلوب ومعنى قريب غير مطلوب .

وعلى خطى ما تقدم وبعد قراءتي شعر ابن المرابط وجدت أن النماذج الندائية التي صاغها جاءت تحمل في اثنائها التحسر والتوجع في معظمها، ويمكن ان نستعرض بعض الأمثلة على ذلك ومنها قوله [٢٣] :

(البحر الطويل)

أَلا يا حمام الأيك ما لكَ كلَّما ... تغنيت مرتاحاً تهيج مُغرماً!
لشَّتانَ ما بين اثنين : شادٍ بروضةٍ ... سروراً وباكٍ ملء عينيهِ عندما!
يبيتُ على وجدٍ ويغدو إلى جوىً ... حليف اشتياقٍ مُستهاماً مُتيَّما
إذا ما هفا برق من الشرق شاقهُ ... حنيناً إلى عهد به قَدْ تصرَّما

من الأمور التي تفاجئ القارئ وتضعه أمام شيء غير مألوف وهي مخاطبته (الحمام)، ولذلك يفاجئ القارئ بشيء حقيقي ناتج عن الانحراف الذي يعدُّ خروجاً عن النمط التعبيري المألوف .

فالحمام أوقظ لوعة الشاعر وحزنه عندما يغني مرتاحاً، وعلى ما يبدو فإن الأمر أصبح فيه علاقة ضدية، فالغناء والطرب قد يهيج الألم والأسى لدى الشاعر؛ لأنه يتذكر محبوبته التي فارقها، فكلما جاء خبرٌ من شرق الأندلس موطن الشاعر؛ استيقظت مشاعره وانبجست خلجاته شوقاً وحنيناً إليها .

فالشاعر عندما يخاطب الحمام أو يتوجه إليه منادياً، لا ينتظر منه إقبالاً أو ردّاً على سؤاله، لكنه يحاول أن يقيم علاقة مع الأشياء التي يرى أنّها من الممكن أن تعمل على كشف الانفعالات والعواطف لديه .

المحور السابع:

اسلوب حسن التخلص عند شعراء الزواهر.

إن لدى ابن الجنان العديد من التخلصات المميزة في شعره، ومنها ما ورد في قصيدته التي عارض بها قصيدة (علي بن الجهم)، فبعد مقدمته الغزلية الطويلة قام الشاعر بحسن التخلص والدخول في مدح الذات الإلهية معلناً شوقه وحنينه راجياً نزوله منزلة العُلاَ، فيقول [٢٤] :

(البحر الطويل)

يزيدهـــــم حبـــــاً لـــــه فيزينهـــــم ... بمـــا زاد مـن نيـــل الكرامـــة والبِـــرِّ
يحثـون أشواقـــاً إلـــى منـزل العُـــلا ... بحضـــرة رَبِّ المُلـــكِ والخلـــقِ والأمـــرِ
مغـــانٍ بهـــا كُنَّـــا غنينَـا فيـــا لهـا ... مغـــانٍ بـــذاتِ الطلـــح ينضـــد والسـدرِ
إذا مـــتُّ شوقـــاً ثـمَّ هـبَّ قبولـــهُ ... قبـــولاً فمـا نشـري ســـوى ذاك النشـرِّ

في هذا النص الشعري نجد أن الشاعـر قد انتقل من الغزل إلى المديح انتقالاً سلساً بديعاً ينطوي على براعته. زيادة على تكرار الشاعر للألفاظ (يزيدهم – فيزينهم – زاد)، (مغانٍ – غنينا – مغانٍ) لتدلَّ على شدة تأثير المعنى وتوكيده .

فضلاً عن جناسه الاشتقاقي في (نشري / النشر) وأيضاً في (قبوله / قبولاً). ومن مقدماته الغزلية الأخرى أيضاً أبياتٌ كتبها قبل مدحه مجاوباً على رسالة بعثت إليه من صديقه القاضي (أبي بكر بن المرابط)، حيث يقول [٢٥] :

(البحر البسيط)

اسـمع حـديثي فـــإن الصـــدق مقبـولُ ... وانظـــر دليـــل اشـــتياقي يبـــدُ مـــدلولُ
فَلِـي شُـجُونٌ مـن الأشـجان مـا عرفـت ... قبلـــي لمـــن قلبـــه بـــالبينِ متبـــولُ
وقطَّـــعَ الوجـــدُ أحشـائي فلـي كبـدٌ ... نجيعهـــا فـــي طلـــول البعـــدِ مطلـــولُ
قَـــد جُنَّ شوقـــاً إلـــى أحبابـه فغـــدا ... كأنـــهُ فـــي الـــورى المجنـــون بهلـــولُ
هـــذا حـــديثُ اشـــتياقي وهـــو مختصـــرٌ ... وربمـــا قيـــلَ فيـــهِ : الطـــول مملـــولُ

فالشاعر في هذه الأبيات يصف شوقـه لصديقه القاضي (أبي بكر بن المرابط)، حيث بَيَّنَ أشواقه في مقدمة غزلية مفعمة بالرقة والمشاعر النبيلة الصادقة .

فضلاً عن تكراره الألفاظ (اشتياقي / اشتياقي / شوقاً) لزيادة المعنى وتوكيده. يقول " ابن رشيق القيرواني " : إن للشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب بما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول، فقد يحس ما في الطابع من حب الغزل والميل إلى الهوى والنساء، مستدرجاً في ذلك ما بعده [٢٦]. إذ شبـه الشاعر اشتياقه إلى أحبائه واستعـار بقوله (المجنون بهلول) والمُراد به الشاعر العباسي الذي اختل عقله في أخريات حياته فلقب بالمجنون، لبيان شدة شوقه ووقعه عليه فغدا يفقده صوابه .

الخاتمــة :

أنَّ الوفاء والشوق غريزة نفسية يلجأ إليها الشخص ولاسيما الشاعر لأسباب كثيرة، إذ يبوح عما بداخله من مشاعر مضمرة تجاه الآخرين ويعكس صورة جميلة عن سمو نفسيته الطيبة .

فالوفــاء سمة حميدة عند الشعراء الأندلسيين وله أسلوبــه الخاص ونزعته التي تعددت خصالها في نصوصهم الأدبيــة، إذ تزاحموا فـي هــذا الميدان الرحب ليضعوا عصارة أفكارهم من خلال ما سطرته احبار اقلامهم نصوصاً يطرب لها الســامــع ويحدق بمعانيها الفاهم والعالم، ولها صورٌ كثيرة منها الوفاء والحنين إلى الوطن والدعاء بظهر الغيب لأحبائهم، وبعضهم من تمنى رضا المحبوبة وفاءٌ لها، والبعض الآخر من حنَّ لأحبابه وهو لا يزال يرافقهم، ومنهم من دعا للوصل والوفاء والشوق رغم الجفاء والقسوة، فكل ما سبق ذكره دليلٌ على شرف وعلو هذه القيمة العظيمة وسمو قدرها .

الهوامش :

(١) ينظر : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه – صحيح البخاري : ٥ / ٣٩

(٢) ينظر : البداية والنهاية : ٣ / ١٢٨

(٣) ينظر : طوق الحمامة : ١٣٨ – ١٣٩

(٤) ينظر : التعريفات : ١ / ٢٥٣

(٥) سورة الروم ، الآية (٦) .

(٦) سورة النجم ، الآية (٣٦) .

(٧) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ١ / ٨٦

(٨) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ١ / ٨٥

(٩) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ١ / ٨٦

(١٠) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ١ / ٩٠

(١١) ينظر : فتح الباري : ٧ / ٥٢

(١٢) ينظر : فضائل الصحابة : ١ / ٥١٤ ، ٥١٩

(١٣) ينظر : صفــوة الصفــوة : ١ / ٢٩٧، وسنن الترمــذي : ٥ / ٥٩٠، وفتــح الباري : ٧ / ٥٤

(١٤) ينظر : فضائل الصحابة : ١ / ٥٠٦ ، والبدايــة والنهاية : ٧ / ٢٠٧، وسنن الترمذي : ٥ / ٢٩٣

(١٥) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر : ١ /٩٢

(١٦) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر : ١ /٩٢، وينظر: ديوان ابن الأبار البلنسي : ٢٩٤

(١٧) ينظر : التعريفات الفقهية : ١ / ٢٣٨

(١٨) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ١ / ١٨٤

(١٩) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ٢ / ٣٦٠، وينظر : ديوان ابن الجنّان: ٩٩ – ١٠٠
(٢٠) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ٢ / ٤٨٥، وينظر: ديوان ابن الجنّان : ٧٢
(٢١) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ٢ / ٤٨٥
(٢٢) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر: ١ / ١٠١ – ١٠٢
(٢٣) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر : ١ / ١٠٢ – ١٠٣
(٢٤) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر : ١ / ٣٢٠ – ٣٢١، وينظر: ديوان ابن الجنّان: ١٠٨
(٢٥) زواهر الفكر وجواهر الفِقَر : ٢ / ٣٧١ – ٣٧٤، وينظر: ديوان ابن الجنّان: ١٤٢
(٢٦) ينظر : العمدة : ١ / ٢٥٢

المصادر :

١- القرآن الكريم
٢- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م
٣- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .
٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ .
٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .
٦- ديوان أبن الأبار البلنسي، أبي عبد الله محمد ابن الأبار القضاعي البلنسي (ت: ٦٥٨ هـ)، تحقيق: عبد السلام الهراس، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٧- ديوان ابن الجنّان الأنصاري، شاعر المديح النبوي في الأندلس في القرن السابع الهجري، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور منجد مصطفى بهجت، ١٤١٠ هـ– ١٩٩٠م .
٨- زواهر الفكر وجواهر الفِقَر، لأبي العلاء محمد بن علي ابن المرابط المرادي (ت: ٦٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. أحمد المصباحي .
٩- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٩٩٦ م .
١٠- صفوة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
١١- طوق الحمامة في الألفة والألاف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت / لبنان، ط٢، ١٩٨٧ م .

١٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ .

١٣- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

Sources:

1- The Holy Qur'an .

2- The Beginning and the End, Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Basri and then al-Dimashqi (d. 774 AH), Dar al-Fikr, 1407 AH - 1986 AD .

3- Definitions, Ali bin Muhammad bin Ali al-Zain al-Sharif al-Jurjani (d. : 816 AH), investigation: compiled and authenticated by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1403 AH - 1983 AD.

4- Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar of the affairs of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, his Sunnahs and his days = Sahih Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi, edited by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat (photocopied from Al-Sultaniya with the addition of Muhammad Fouad Abdul Baqi's numbering) , 1st edition, 1422 AH.

5- Al-Umdah fi Mahasin Al-Poetry and its Literature, Abu Ali Al-Hasan bin Rashiq Al-Qayrawani Al-Azdi (d. 463 AH), edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, 5th edition, 1401 AH - 1981 AD.

6- Diwan of Ibn al-Abar al-Balansi, Abu Abdullah Muhammad Ibn al-Abar al-Qadha'i al-Balansi (d. 658 AH), edited by: Abdul Salam al-Harras, 1420 AH - 1999 AD.

7- Diwan of Ibn al-Jinnan al-Ansari, the poet of praise of the Prophet in Andalusia in the seventh century AH, compiled, verified and studied by: Dr. Munjid Mustafa Bahjat, 1410 AH - 1990 AD.

8- The Jewels of Thought and the Jewels of Poverty, by Abu Al-Ala Muhammad bin Ali Ibn Al-Murabit Al-Muradi (d. 663 AH), study and investigation: Dr. Ahmed Al-Mesbahi.

9- Sunan al-Tirmidhi, Abu Issa Muhammad bin Issa al-Tirmidhi (d. 279 AH), edited by: Bashar Awad Marouf, Dar al-Gharb al-Islami - Beirut, 1st edition, 1996 AD.

10- Safwat al-Safwa, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH), edited by: Ahmed bin Ali, Dar al-Hadith, Cairo, Egypt, 1st edition, 1421 AH/2000 AD.

11- The Dove's Collar in Al-Alifah and Al-Alif, Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed bin Hazm Al-Andalusi Al-Qurtubi Al-Zahiri (d. 456 AH), verified by: Dr. Ihsan Abbas, Publishing House: Arab Foundation for Studies and Publishing - Beirut / Lebanon, 2nd edition, 1987 AD.

12- Fath al-Bari, commentary on Sahih al-Bukhari, Ahmed bin Ali bin Hajar Abu al-Fadl al-Asqalani al-Shafi'i, Dar al-Ma'rifa - Beirut, 1379.

13- The Virtues of the Companions, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad Al-Shaibani (d. 241 AH), edited by: Dr. Wasi Allah Muhammad Abbas, Al-Resala Foundation - Beirut, 1st edition, 1403 AH - 1983 AD.